00966505745758

الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم نظرة تربوية

د.ثابت سعيد ناصر القحطاني

أستاذ مناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية المساعد

جامعة الملك خالد

Dr.thabet saeed Nasser Al-Qahtani

Professor of Curriculum and Teaching Islamic Education Assistant

King Khalid University

ملخص الورقة(Abstract)

خلص الباحث إلى أن الإجابة عن التساؤلات حول طبيعة الإنسان نستقيها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهذه الإجابة تكون يقينية لا تحتمل أدنى درجة من الخطأ حاشا لله ..ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى{32} }النجم "32". ويقول سبحانه وتعالى{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ{14} }الملك "14".

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا عن حقيقة الإنسان بما لا يدع مجالا للشك والتخمين فإذا اتبعنا المنهج الإسلامي فعلينا أن نتتبع ألفاظ القران الكريم التي عبرت عن حقائق الإنسان وخصائصه .وقد جاء وصف الإنسان في القرآن مفردا وجمعاً، كما خلص الباحث إلى وجود الترابط الواضح بين تعريف الفطرة والطبيعة من منظور إسلامي وفقا لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله علية وسلم أما ما ورد من تعريف للطبيعة الإنسانية في الفكر الغربي فإنه مغاير لذلك ومنافياً للصواب، ومما لا شك فيه أن هذه الدراسة تعين المربي على كيفية أداءه مهمته في تزكية نفس التلميذ وفي تعريفة غاية خلق الإنسان وثمة فوائد وآثار تربوية من فهمنا للطبيعة الإنسانية فالتربية الإسلامية هي نتاج المنهج الإسلامي الذي انفرد بشمولية نظرته للطبيعة الإنسانية عن غيره من المناهج ، هذه الشمولية التي تنظر إلى الإنسان بأنه وحدة متكاملة ، ولا تجزئه إلى وحدات ظاهرة وأخرى باطنه بل تأخذ الإنسان كله بحركاته الظاهرة وخلجاته الباطنة لأن القاعدة الإيمانية التي ترتكز عليها التربية هي أن الإيمان ما وقر بالقلب وصدقه اللسان وعملت به الجوارح والأركان ، وهذه الرؤية المنفردة في تناسقها وتوازنها لكل جوانب النفس وكل جوانب الحياة غير مسبوقة من الناحية التاريخية.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الراشدين؛ أما بعد:

حظى موضوع «الطبيعة الإنسانية» بأهمية بالغة في الحقل التربوي الحديث والمعاصر.فقد سعى كثير من المربين والفلاسفة إلى تحديد الآليات التي تكوّن عناصر الكائن الإنساني الظاهرة منها والباطنة. وقد كان هاجس تفسير طبيعة السلوك الإنساني موضوعًا للدراسة من قبل العلوم النفسية والاجتماعية والأنثربولوجية. غير أن الاهتمام العلمي والفلسفي على اختلاف التوجهات النظرية والأيديولوجية لم يكن اهتمامًا متجانسًا .الشيء الذي يفسر حقيقتين مهمتين: صعوبة ضبط السلوك البشري، ثم استحالة وضع تفسير واحد وموحد للظاهرة الإنسانية التي تتداخل فيها مجموعة معطيات بيولوجية وفيزيولوجية وعقلية وغيرها من آليات التشكيل الإنساني. وتأسيسًا على هذه المعطيات فيلاحظ أن العديد من الدرسات حاولت على اختلاف فروعها اكتشاف هذا اللغز البشري الذي أصبح موضوعًا للدراسة. كما نُظر إلى الإنسان باعتباره شتاتًا من العناصر التي تتحكم في بنيته العضوية والنفسية. ولذلك وجدنا طرائق قددًا في المجال العلمي: فالبيولوجيانظرت إلى الإنسان كعناصر عضوية هي التي تتحكم في قواه العقلية والعاطفية.والسيكولوجيا نظرت إليه بمثابة خزان من ردود الأفعال نحو مثيرات خارجية أو غرائزية، كما أن علم الاجتماع فسر الإنسان انطلاقًا من بنى اجتماعية تحتية هي التي توجه سلوكه اللغوي والعلائقي مع الآخر، في حين اعتبر علم الأجناس الإنسان عبارة عن حمولة من الموروثات العضوية والعوائدية، إلى غير ذلك من فروع المعرفة العلمية الأخرى.وقد اتفقت جل هذه العلوم حول مسألة واحدة هي غموض هذا الكائن وغرائبية سلوكياته سواء الغريزية أو المكتسبة.

ولذلك اعترفت هذه العلوم بصعوبة امتلاك الخصائص التي تكوّن الفرد وصعوبة التحكم فيها أو توجيهها بشكل مبسط. ويمكن تفسير هذا اللغز والغموض في الظاهرة البشرية بكون الإنسان معجزة إلهية في طبيعة الصنع الخارجي. ولذلك نجد في القرآن الكريم تذكيرًا غير ما مرة بأصل الإنسان وبمراحل الحمل والولادة ثم الموت والبعث. وهذا التحكم الرباني في الإنسان يظهر في قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }ق16 ثم إن السؤال التقريري في قوله عز وجل: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ{8} وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ9}(البلد: 8، 9) يؤكد أن هذه الأعضاء الخلقية هي مصدر التحرك السلوكي .فالعين ليست فقط وسيلة للمشاهدة ولكنها كذلك عقله الذي يرى به وعاطفته التي تحيي إليه اللذة وتشكل مجموعة مواقف عصبية.

في حين يبقى اللسان هو الأداة التي تنقل إلى الآخرين لغة العين من الناحية المرئية والتأملية.وبذلك نجد أن العين في القرآن الكريم تصبح حجة على صاحبها يوم القيامة: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } (الإسراء: 36)

فإذا كانت النظرية العلمية قد اعتبرت الإنسان لغزًا رغم معرفتها بالتشريح العضوي وبالخلايا والجينات، فإنها إنما تقر بعدم القدرة على التحكم في مجموعة عناصر منها:

- دواخله النفسية.
- ما تحدثه به إحساساته وخواطره الباطنية.
- نواياه الحسنة أو القبيحة.
- إخلاصه . شروده . تناقضاته الداخلية.

وهذا العجز عن إدراك مكونات الإنسان في شموليتها خلق شتاتًا في العلوم الإنسانية، وطرح مجموعة أسئلة: هل الفعل الإنساني خيّر أم شرير؟ وما العناصر التي تتحكم في سلوكياته؟ هل هي عصابية؟ غريزية؟ اجتماعية؟. وهذا الاختلاف في تقدير قوى الإنسان وفهم سلوكياته يكشف محدودية العلم وقصور المعرفة الإنسانية.(1)

وعند السؤال عن ماهية الإنسان نلاحظ أنه قد نال اهتمام كل المفكرين من رجال دين وفلاسفة وعلماء حيث حاولوا تحديد الصفة الإنسانية التي تميزه عن باقي المخلوقات .ومما لا شك فيه أن أكثر الإسهامات الحديثة في هذا المجال تأتي من مجالات علم الأحياء وعلم النفس وعلم الإنسان حيث أن الطرق التجريبية العلمية التي تتبع قد كشفت لنا عن كثير من الأمور التي كانت غامضة حول طبيعة الإنسان (هوانه 1988م،ص77).

ولعل الإجابة عن التساؤلات حول طبيعة الإنسان نستقيها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهذه الإجابة تكون يقينية لا تحتمل أدنى درجة من الخطأ حاشا لله ..ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى{32} }النجم "32". ويقول سبحانه وتعالى{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ{14} }الملك "14" .

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا عن حقيقة الإنسان بما لا يدع مجالا للشك والتخمين فإذا اتبعنا المنهج الإسلامي فعلينا أن نتتبع ألفاظ القران الكريم التي عبرت عن حقائق الإنسان وخصائصه .وقد جاء وصف الإنسان في القرآن مفردا وجمعاً .وترى عائشة عبد الرحمن أن الإنسانية هي " ارتقاء بالإنسان إلى الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض واحتمال تبعات التكليف وأمانة الإنسان لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز مع يلابس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر وفتنة الغرور بما يحس من قوته وطاقته وما يزدريه من الشعور بقدرته ومكانته في الدرجة العليا من درجات التطور ومراتب الكائنات .ونبدأ بسورة العلق أول ما نزل من كتاب الله وفيها ما يمكن أن نجتلي الملامح العامة للإنسان ،وقد تكرر ذكره في هذه السورة الأولى ثلاث مرات من جملة مرات

---

(1) http://www.bab.com/bannerad/banner_clicked.cfm

ذكره في كتاب الله البالغ عددها (65) مرة . إحداها تلفت إلى آية خلقة من علق والثانية تشير إلى اختصاصه بالعلم الكسبي .والثالثة تنبه إلى ما يتورط فيه من طغيان حين يتمادى به الغرور فيرى أنه استغنى عن خالقة {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{1} ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{2} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{4} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{5} كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى{6} أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى{7} إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى{8}﴾العلق . (علي وآخرون ،2004م،ص90)

وفيما يلي عرضاً موجز لأهداف الورقة وأهميتها وأهم المحاور التي تتناولها بداء بتوضيح لمفهوم الطبيعة الإنسانية ومقارنته بمفهوم الفطرة ومن ثم الحديث عن بعض الفلسفات التي تحدثت عن الطبيعة الإنسانية بعد ذلك سأتناول الحديث عن مكونات الطبيعة الإنسانية ,أهمية دراستها وتأثير كلا من الوراثة والبيئة عليها وعلاقتها بالعملية التربوية من منظور إسلامي .

أهداف الورقة:

1-إلقاء الضوء حول الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم .

2- تحديد موقف الإسلام من الفلسفات الأخرى في نظرتها للإنسان.

3- الوقوف على أثر الفهم الصحيح للطبيعة الإنسانية في تربية النشء.

4- توضيح الطبيعة الإنسانية بين الوراثة والبيئة ،وموقف التربية الإسلامية منها,

أهمية الورقة :

1- تفيد هذه الورقة المهتمين بالقرآن الكريم ودراسته.

2- تفيد هذه الورقة في تقديم تصوراً واضحاً حول شمول الشريعة الإسلامية لجميع مناحي الحياة.

3- يمكن أن تفيد هذه الورقة الباحثين المهتمين بتوضيح موقف الدين الإسلامي في قضايا حقوق الإنسان .

محاور الورقة :

1- مفهوم الطبيعة الإنسانية ومفهوم الفطرة في اللغة والاصطلاح من منظور إسلامي .

2- موقف النظريات الغربية من الطبيعة الإنسانية.

3- أهمية دراسة الطبيعة الإنسانية .

4- مكونات الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم .

5- علاقة الطبيعة الإنسانية بالعملية التربوية من منظور إسلامي .

مفهوم الطبيعة الإنسانية ومفهوم الفطرة في اللغة والاصطلاح من منظور إسلامي :

يختلف مفهوم الفطرة الإنسانية في الإسلام عن مفهوم الطبيعة الإنسانية لدى الفلسفات ومدارس علم النفس المختلفة ، ففي المعجم الوسيط : طبع الشيء طبعاً ، وطباعة صاغه في صورة ما ، ويقال طبع الله الخلق : أنشأه . وتستخدم بمعنى التأثير على الأشياء ، تقول طبع الشيء وعليه : ختم عليه بطابع ، والطبيعة السجية ، ومزاج الإنسان المركب من الأخلاط ، والقوة السارية في الأجسام التي يصل بها الجسم إلى كماله الطبيعي الذي هيأه الله له .وتعرف أيضاً :((الطبع والطبيعة :الخليقة والسجية التي جُبل الإنسان عليها ويجمع طبع الإنسان طباع ،وهو ما طُبع علية من طباع الإنسان في مأكله ومشربة ،وسهولة أخلاقه وحزونتها ،وعسرها ويسرها،وشدته ورخاوته، وبخله وسخائة ... وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعاً :فطره وطبع الله الخلق على الطبائع خلقها فأنشأهم عليها وهي خلائقهم))(بن منظور ،ج8،ص232).

فالطبيعة بهذا المعنى هي مجموعة السجايا التي خلق الله عليها الناس ، وفطرهم عليها ، والطبع هو الصياغة وإحداث الأثر ، فالطبع هو تأثير الأعمال في النفس ، وتأثير الأشياء في الأشياء .

ولا يختلف معنى الفطرة في التصور الإسلامي عن معنى الطبيعة ، ففي القاموس ، فطر ناب البعير : أي شق اللحم وطلع ، وفطر النبات : أي شق الأرض ونبت منها ، وفطر الأمر: أي ابتدأه واخترعه ، وفطر الله العالم ، أي أوجده ابتداءً. يقول الحق على لسان إبراهيم υ : [إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{79}] [الأنعام 79] .

والفطرة هي الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه ، فالفطرة هي الخلقة السليمة ، لم تشب بعيب : [فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ{30}] [الروم 30] .

فإذا كانت الفطرة في الإسلام هي خلق الله الإنسان على الإسلام ، أي شاهداً بعبوديته لله ، ومقراً بربوبيته ، فإن الطبع هو صياغة الله للإنسان بمزاج وسجية خاصة ، سواء كان ذلك من خلق الله في الإنسان من البداية ، أو بتهيئة الإنسان لكي يقوم بذلك بنفسه ، أو من خلال البيئة والأشياء المحيطة به ، والمحصلة النهائية هي أن الطبيعة الإنسانية من خلق الله .

أما الطبيعة في المصطلح الغربي الذي قامت عليه مدارس علم النفس هناك ، فهي الأشياء المادية المحسوسة حولنا من جماد وحيوان ونبات ، ففي الاصطلاح اليوناني : "الفيزيقيا" هي الطبيعة ، و"الميتافيزيقيا" ما وراء الطبيعة أي الأمور الغيبية وغير المحسوسة .

وكما يقول الدكتور محمد رشاد خليل فقد أخذت الطبيعة معاني فلسفية لدى الإغريق ، وأصبحت هي الأساس في الفكر الغربي الحديث .

فالطبيعة هي الجوهر المادي الأول الذي تصنع منه الأشياء ، وهذا الجوهر المادي هو أصل الوجود ، والعلة الأولى في وجود هذا الكون ، وهي عند أفلاطون المثال ، وعلة الوجود ، والنفس الكلية ، وعند أرسطو هي أصل الأشياء ، ومصدر الحركة والمادة التي تصنع منها الأشياء .

وقد استخدمت الفلسفات الغربية الحديثة مفهوم الطبيعة بهذا المعنى الإغريقي القديم ، فالطبيعيون والمثاليون والواقعيون يرون "الطبيعة هي الأشياء وهي القانون الطبيعي الذي يعمل في الأشياء ، والطبيعة هي أصل الأشياء" .

إذن فالطبيعة في الفلسفات الغربية ومدارس علم النفس القائمة عليها ليست من خلق الله ، بل هي خالقة الكون وسبب وجوده الأول ، وبذلك يتصادم مفهوم الطبيعة في هذه المدارس مع مفهوم الطبيعة في الإسلام . (مدكور ،1993م،ص43-44).

ويرى الخطيب وآخرون أن الفطرة في الإسلام هي الخلقة السليمة التي لم تشب بعيب ، والتي يوجد عليها كل موجود أول خلقه ، قال الله عز وجل : [فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ{30}] [الروم 30] ، فالفطرة هي "خلق الله الإنسان على الإسلام ، أي شاهداً بعبوديته لله ومقراً بربوبيته ، ومزوداً بالاستعدادات والطاقات الظاهرة والباطنة التي تمكنه من إصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل وفقاً لمعايير منهج الله" ، فحقيقة التوحيد كامنة في الإنسان ، يخرج بها كل مولود إلى الحياة ويوضح ذلك قول الرسول ρ : [ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه] .(الخطيب وآخرون ،1415هـ، ص83)

ومما سبق يلاحظ الترابط الواضح بين تعريف الفطرة والطبيعة من منظور إسلامي وفقا لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله علية وسلم أما ما ورد من تعريف للطبيعة الإنسانية في الفكر الغربي فإنه مغاير لذلك ومنافياً للصواب وفيما يلي توضيحا لموقف بعضاً من **النظريات الغربية حول الطبيعة الإنسانية باختصار :**

أولاً : الفلسفة المثالية:

تفسر الفلسفة المثالية طبيعة الإنسان على أنها شئ ينقسم إلى عقل وجسم ،عقل ليس له حدود ،متصل بالروح أي متصل بالأفكار الثابته الأزلية الموجودة في عالم المثل ،حيث أن الروح أو النفس كانت موجودة قبل وجود الحياة في العالم العلوي المثالي ،تشاهد المثل ،وتعيش الفضائل بعيدة عن الجسم والمادة .. وعندما هبطت إلى العالم السفلي ارتبطت بالجسم واتحدت به اتحادا مؤقتا،فطغت مادة الجسم عليها ،وأنستها ما كانت تعرفه في عالم المثل .

أما القسم الثاني من الطبيعة الإنسانية فهو جسم له حدود مكانية ،مرتبطة بمادة متغيرة إلى العالم السفلي المتقلب الزائل ،الجسم بهذه الخاصية يعطل عمل العقل ،وبالتالي فالحواس غير صالحة لمعرفة الحقيقة وإدراكها . كونها لا تدرك سوى الأمور المتغيرة ، لذلك على العقل أن يقهر الجسم

وكبح غرائزه ،كون العقل هو الوسيلة للوصول إلى الحقائق والأفكار التي تأتي عن طريق العقل تكون صحيحة وصادقة ،لأن الروح تحاول تتذكر وتسترجع ما كانت تعرفه من أفكار وقيم في عالم المثل .وبهذا يعلي المثاليون العقل على الجسم ،وأفضل نمو هو النمو العقلي والروحي والخلقي حتى يستطيع الفرد الاتصال بالأفكار الخالدة في عالم الروح أو المثل .(الحاج ،2002م ،ص73)

الفلسفة الواقعية :

جاءت الفلسفة الواقعية لتناقض منطلقات الفلسفة المثالية ففي نظرية أرسطو للطبيعة البشرية ، يرى أن النفس تمر بثلاثة أطوار ، الطور الأول النشأة الجسمية في مرحلة الطفولة الأولى ، والثاني طور نشأة الحساسية والغريزة ،والثالث طور القوى الناطقة أو الطور العقلي .ولهذا ميز بين نوعين من العقل هما : العقل النظري ، والعقل العملي ،يتميز العقل النظري بأنه عقل معرفي خالص ، يستغرق على نفسه للوصول إلى المعارف ،والتأمل في طبيعة الأفكار ،وهو الفيض الإلهي .أما العقل العملي فيختص بطوري النشاط الإنساني الأول ،والثاني ،يعمل على كبح جماح الشهوات ،ويعطي التوجيه ،للتعبير الإنساني السليم في مجال السلوك والأخلاقيات .

وقد قسم أرسطو الفضيلة ،تبعاً لتقسم الطبيعة البشرية إلى غاذية (نفس نامية) ،لا تصدر عنها فضيلة ما ،ونزوعية (نفس حاسة) حيث تتنازع الفرد قوى عديدة ،تصدر عنها فضيلة إذا سارت تحت سيطرت القوى الناطقة ، أما الناطقة فتصدر عنها الفضائل العقلية ،وهي أرقى أنواع الفضائل ،كونها صادرة عن العقل النظري . والملاحظ هنا ،بروز التأثيرات الأفلاطونية على فكر أرسطو ، كون الأخير كان تلميذا لأفلاطون ، غير أن أرسطو ناقض أستاذه ،وظهر على فكره نزعته الواقعية العقلية التي كان لها الأثر على التربية ،تجلت في الاهتمام بالعلوم الطبيعية ،وبالتجريب ،وإن الفضائل التي يدركها العقل النظري هي أسمى غايات التربية .

ويلاحظ أن هناك تباين حول الطبيعة البشرية ،ففي حين يعتبر الواقعيون العقليون ،وعلى رأسهم أرسطو أن النفس أو العقل مرتبط بالجسم وممتزج به ،وهذا الارتباط بين قوى الكائن الحي ووظائفه ،فإن الواقعيين الدينيين يرون أن أسمى ما في الإنسان هو روحه وعقلة .وغن كانوا يرون أن الجسد والروح يشكلان طبيعة واحدة بينما ترى الواقعية الجدية إنكار الروح والتشكيك فيها . .(الحاج ،2002م ،ص80-84).

الفلسفة البرجماتية :

ترى الفلسفة البرجماتية أنه من العسير عزل العقل عن الجسد ،فما نصفه بأنه العقل يظهر في أفعال الجسد ،وفي السلوك والحواس ،وتلك التفرقة تشوه بأنه العقل يظهر في أفعال الجسد ،وفي السلوك والحواس ،وتلك التفرقة تشوه وحدة الإنسان ولذلك ترفض البرجماتية التفرقة بين العقل والجسم ،وترى وجوب النظر إلى النشاط الإنساني نظرة متكاملة ،تجمع بين العقل ،والجسم ،والبيئة

في متصل واحد .وتضيف البرجماتية الخبرة الحية التي يعيشها الناس ،فالناس يتصرفون وفقاً لتبادل الرغبات والمقاصد والمعاني ،حيث تستجيب ذواتهم ،وتتوافق من خلال ضروب الاتصال والتفاعل .

ويؤكد جون ديوي على أن طبيعة الإنسان وحدة متكاملة بين الجسم والعقل في آن واحد ، فإن وحدة هذه الطبيعة الإنسانية تبرز من خلال الاتصال الكامل والاعتماد المتبادل بين الفرد والمجتمع ،وبين الإنسان والطبيعة .وتفسر الطبيعة الإنسانية في الفلسفة البرغماتية وفقا للمبادئ التالية :

1- الوحدة العضوية بين الإنسان والبيئة .

2- طبيعة الإنسان متعددة ومرنة .

3- قدرة الإنسان على التعلم .

4- الإنسان مجموعه علاقات ، أي أن شخصية الإنسان تتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي المحيط به . (الحاج ،2002م ،ص80-84).

الفلسفة الوجودية:

تؤمن الفلسفة الوجودية Existentialism بالحرية الإنسانية المطلقة في الحياة وهي بالتالي ثورة حقيقية متواصلة على كل القيم المتوارثة وجميع الفلسفات السابقة. الوجودية "رؤية فلسفية للوجود الإنساني، ظهرت في أوربا – عقب الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918 م) – في ألمانيا أولاً ثم في فرنسا" (عمارة، 2000 م، ص 282). لا يساورنا شك في أن الوجودية كنظرية وتطبيق ليست حركة جديدة بل جذورها في هذا المضمار ضارب في القدم وعندما تحررت أوربا من سلطة الكنيسة أصبح المفكر لا يخاف من نشر خواطره الخطيرة فاستغل البعض أجواء الحرية لنسف كل الحدود الدينية وجميع السدود المجتمعية. تنقسم هذه المدرسة إلى قسمين: القسم الديني المؤمن بالنصرانية، والقسم الملحد. القاسم المشرك بين القسمين أنهما يحاولان فلسفياً بيان ماهية الوجود الإنساني. الوجودية الملحدة هي المعروفة والأكثر شهرة في الثقافة العربية والعالمية ولقد تلقفها – للأسف- مجموعة غير قليلة من المسلمين ضمن سلسة الاختراق الثقافي الإيديولوجي، ونحن هنا سنتعرض لمرتكزات هذا القسم مع بيان مجمل للتطبيق التربوي.

تلغي هذه الفلسفة خصوصيات الإنسان ككائن اجتماعي يتأثر بمعطيات المجتمع فلا يمكن أن يتغافل عن محيطه الذي يعيش فيه كما أن النظرة الوجودية تحرم الإنسان من الصلة الروحية بخالقه فلا تعطي أي وزن للمضامين الدينية.

يقوم هذا المذهب الذي نبت في أوربا على فكرة أساسية تنص على أن "الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة ... ولا يوجد شيء سابق عليها، ولا بعدها، وتصف الوجودية الإنسان بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته ويتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته باختياره الحر دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته، وعليه أن يختار القيم التي تنظم حياته". "ترجع بذور مذهب الوجودية إلى الكاتب الدانمركي كيركا جورد 1813-1855م وقد نمى آراءه

وتعمق فيها الفيلسوفان الألمانيان مارتن هيدجر الذي ولد عام 1889م، وكارك يسبرز المولود عام 1883م. وقد أكد هؤلاء الفلاسفة على أن فلسفتهم ليست تجريدية عقلية، بل هي دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات" (البرغوثي، 2002 م، باختصار، نقلا عن موقع على شبكة الانترنت). (2)

نظرتها إلى الطبيعة الإنسانية :

يرفض الوجوديون عموماً أن يولد الإنسان بطبيعة جاهزة حددت سلفاً ، أو توجد ماهية مشتركة لكل أفراد الإنسان ،أوان الإنسان محصلة لبيئته المادية والاجتماعية ،وما يفرضه ذلك من تقبل واقع الإنسان المحتوم وحريته المفروضة علية ، وإنما يرون أن هذه الطبيعة توجد أولا ثم تتحدد الماهية عند الإنسان ابتداء من وجوده بمعنى أن وجودة ذاتي ،يخلق ذاته بمطلق حريته ، وبالتالي فهذه الطبيعة لا تتحقق إلا بناء على اختيار الفرد الحر لما سيكون علية . وفي ضوء هذا الاختيار الحر لأفعاله ، فإنه يحدد نفسه شيئاً فشيئا .وهو على هذا النحو يحدد صفاته ،ويخلق ماهيته في ضوء تحديد أثر البيئة علية .وطالما أن الإنسان حر في اختياره ،واختيار هـ مقيد بمسئولية هذا الاختيار نحو نفسه ونحو غيره، فإن طبيعته تتشكل من المواقف والخبرات ،ومن العلاقات الحرة بينة وبين الآخرين .

الفلسفة **الطبيعية:**

ظهرت الفلسفة الطبيعية لتنادي بالرجوع إلى المناشط التعليمية التي تتماشى مع القوانين الطبيعية الأصيلة كتشجيع الخبرات المباشرة والرحلات الميدانية. من هنا فإن العقاب البدني يتنافى مع أبجديات هذه الفلسفة القائمة على تشجيع الذاتية ورفض التعسف الذي يقمع تنمية الميول الطبيعية للطفل.

اهتم جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (1712 – 1778 م) بالبُعد الإنساني وأخذ في بلورة الفلسفة الطبيعية وذلك في كتابه إميل فرسم للتربويين مسار التعليم ورسخ دور الطبيعة لا المدرسة في تنمية الأطفال. قصة إميل تجسد أهمية الطبيعة في تربية الطفل تربية صحيحة تحرره من المدارس والأنشطة الصفية التي تُكَبل النفس بقيود كثيرة، وتكبل الفكر بكوابح عديدة، وتمنع الطفل من الانطلاق والتعلم والتمتع بالعالم الفسيح من حوله والذي يحتوي على خبرات ثرية تفي بحاجته وتلبي طموحاته. طالب روسو بتلبية احتياجات الطفل وضرورة إزالة العقبات التي تواجهه وفقا لمتطلبات بيئته على أن لا تتنافى طرائق التعليم مع حرية الطفل ونموه.

يري بعض الباحثين في مجال الطفولة أن جان جاك روسو من الذين أحدثوا تغييراً هاماً في النظرة إلى الطبيعة الإنسانية وحاجات المجتمع وأنه من أوائل مَن نادى بالتعلم الذاتي دون فرض أو إكراه وعليه فإن حرية الطفل وحقه في التعبير وعدم إرهاقه بالمسئوليات من أهم المبادئ التربوية التي تتفق مع

---

(2) http://www.geocities.com/ta3leqa1//asolelfalsafah.html#_ftn3

الطبيعة وقوانينها فالطبيعة تسمح بالنمو الحر الطليق فينمو الطفل وفق فطرته الخيرة (بدر، 2000 م، ص 166).

ومن منظور الفلسفة الطبيعية نجد أن الطبيعة قادرة على تشكيل النفس الإنسانية السوية كي تتكيف مع المجتمع. نادت هذه الفلسفة بضرورة احترام الفروق الفردية وحماية الطفل من الضغوط المجتمعية التي تحدث باسم التنشئة وتمارسها الأسرة أو المدرسة دون اعتبار لذاتية الفرد. أنصار هذا المذهب مثل يوحنا هنري بستالوزي (1746 – 1827 م) وفردريك فروبل (1782 – 1852م) وروسو وسبنسر عملوا على إرساء دعائم تربوية ذات صبغة نفسية للتعامل مع الأطفال على أساس تشجيع واحترام حرية الطفل في كيفية تنمية الملكات النفسية والعقلية والجسدية. التعليم المدرسي يُفسد النفس الخيِّرة للمتعلم ويفسد طبيعته السوية فالواجب أن نعرف المراحل العمرية والمناشط التعليمية المناسبة لسيكولوجية النمو في كل مرحلة. وبما أن الطبيعة والخبرات التي تتناغم معها هي أساس التعامل مع النفس فإن الطبيعة وكل ما ينسجم مع نواميسها هي مصدر المعرفة ومنها نستقي أصول التربية وبالتالي فإن الضغوطات الخارجية مثل الواجبات المدرسية والاختبارات تعكر صفو النمو الطبيعي. (الكندري وبدر،2004،الموقع الالكتروني)(3)

ومن الفلسفات أيضا :

– **نظرية الاختزان العقلي**: الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء كمخزن أو وعاء وأن واجب المدرسة يتمثل في ملئه بالتراث والخبرات الإنسانية المتنوعة وهذه النظرية ترى أن المتعلم ليس إلا مجرد مستقبل للمادة الدراسية التي يقدمها المعلم باعتباره مسؤولاً عن ملء عقل المتعلم بالتراث الثقافي سواء أكان مفيداً للتلميذ أو غير مفيد.

ولكن علم النفس أثبت خطأ هذه النظرية, وأكد أن الإنسان يولد ولديه استعدادات تنمو عن طريق تفاعله مع البيئة, وأنه لا يتعلم إلا إذا كان عاملاً فعالاً وليس مجرد مستقبل لما يقدم له من معرفة, كما أنه لا يتعلم إلا ما يعتقد انه مفيد لحياته.

– **نظرية التدريب العقلي**: سيطرت هذه النظرية على الفكر التربوي عدة قرون وترى أن عقل الإنسان يتألف من مجموعة من الملكات تستقل كل منها عن الأخرى مثل ملكة التفكير والذاكرة وغيرها وأن هذه الملكات تدرب بالمواد الدراسية التي تناسبها ولذلك نظمت المناهج المدرسية على أساس اشتمالها على المواد اللازمة لتدريب هذه الملكات فالتاريخ يدرب ملكة الذاكرة,والعلوم تدرب ملكة التحليل غير إن علم النفس اثبت خطأ هذه النظرية نظراً لصعوبة الفصل بين الجسم والعقل حيث أن كلاً منهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه.

---

(3) http://www.geocities.com/ta3leqa1//ta3leagatasol.html

-**نظرية الغرائز**: تقول هذه النظرية أن الطبيعة الإنسانية تسيطر عليها غريزة واحدة أو مجموعة غرائز ولكن الأبحاث النفسية أثبتت أن طبيعة الإنسان متغيرة متطورة تسعى دائماً إلى تكييف نفسها حسب الظروف وأنها قادرة على التحسن والتقدم.(4)

أهمية دراسة الطبيعة الإنسانية :

قد يتسأل البعض ما الذي يفيد المربي من دراسته وفهمه لطبيعة الإنسان ؟ ومما لا شك فيه أن هذه الدراسة تعين المربي على كيفية أداءه مهمته في تزكية نفس التلميذ وفي تعريفة غاية خلق الإنسان وثمة فوائد وآثار تربوية من فهمنا للطبيعة الإنسانية ومنها :

1- تأكيد العبودية لله عز وجل .

2- التوجيه التربوي لمعنى الاستخلاف .

3- التربية على الحرية المسؤوله .(علي وآخرون ،بتصرف ،2004م ،ص98،)

يقول مرسي(1998م ص 108): يعتبر موضوع الطبيعة الإنسانية من الموضوعات الهامة التي لا يستغني عنها أي دارس للتربية الإسلامية لأن الإنسان موضوع التربية ، ومن المهم إذن أن نعرف ما يقوله الإسلام عن هذه الطبيعة حتى يمكن توجيهها وتنشئتها على أساس سليم.

ويقول المربون : إن فلسفة التربية هي فلسفة الإنسان قبل كل شيء ، وبهذا الشرط وحده تستطيع أن تؤدي رسالتها ، وهي العمل على تنظيم الكائن الإنساني ووحدته وتأليفه تأليفاً جديداً ومستمراً وحمايته قبل كل شيء من القوى المختلفة التي تتنازعه في اتجاهات متباينة ، ووقايته من مخاطر تشتت فكره وانحلال إرادته ، وأن التربية عملية توجيه ونمو للأفراد ، فإن طبيعة الفرد تصبح مسألة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفلسفة التربية ، ويقصد بالطبيعة الإنسانية من المنظور الإسلامي فطرة الإنسان التي فطره الله عليها .

ويضيف مدكور (1993م،ص41) حيث يقول إن التقدم العلمي الهائل في علوم الطبيعة والكيمياء والفلك وعلوم الجماد عموماً يتسم بعده أمور أهمها ما يلي :أنه لا يتبع أية خطة معينة ، وأنه يتطور دون إدراك للنتائج المترتبة علية إنسانياً ،وأنه لا يتحرك تبعاً للرغبة في تحين أحوال البشر ،وأنه لا تحكمه قيم من خارجة . وإن هذا التقدم العلمي الهائل في علوم الجمادات قد تزامن مع تقدم علمي بطئ ، لم يكد يتعدى كثيراً حد الجهل في دراسة علوم الإنسان والطبيعة الإنسانية ،أو العلوم الحيوية عموماً .وقد تمخض هذا ‘ن حضارة إنسانية معاصرة ،زودت الناس بكل وسائل الحياة الحديثة ،لكنها أهدرت – في نفس الوقت – القيم الخلقية ،وأخفقت في النهوض بالمستويات

---

(4) http://www.tarbya.net/default.aspx)

الأدبية والعقلية لعامة الناس وخاصتهم ..... إلى أن يقول وصفوة القول :أن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد هو إحدى الكوارث الذي تعاني منه الإنسانية ،إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولها .

وإن العلاج الوحيد لهذا الشر المستطير هو معرفة أكثر عمقاً بأنفسنا وبطبيعتنا الإنسانية ،وبذلك نتعلم كيف نكيف أنفسنا للمتغيرات المناسبة ،وكيف نغير الظروف المحيطة بحيث تصبح الحياة حولنا ملائمة لطبيعتنا الإنسانية . (مدكور ،1993م،ص42).

لذا فإن معرفة طبيعة الإنسان المتعلم أمر أساسي في وضع المنهج وتنفيذه لأن المتعلم هو محور العملية التعليمية ,وإن تقديم أي خبرات تعليمية له دون معرفة مسبقة بخصائصه وحاجاته وميوله ومشكلاته تؤدي إلى الفشل في بلوغ الأهداف التي يرمي إليها المنهج.

مكونات الطبيعة الإنسانية :

لقد تحدث القرآن الكريم عن عدة مواد على أنها أصل النوع الإنساني ،وهذه المواد هي :

1- الأرض ،يقول سبحانه وتعالى { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}55 طه .

2- التراب {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ } (الروم 20)

3- الطين{ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ} (السجدة 7)

4- الصلصال{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} (الحجر 26)

5- الماء {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً{54} (الفرقان54)

6- النطفة{ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ{77} (يس77)

7- العلق {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ}{2} (العلق 2) ولا مجال هنا إلى الخوض في تفسير هذه الآيات لكن سأركز الحديث هنا عن:

مكونات الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم :

1- **الجسم** :وهو ما يعبر عن الجانب الحيوي في الإنسان كم ذكرنا ،وقد وردت كلمة الجسم في القرآن الكريم مرتين ،إحداهما جاءت مفردة في سياق الحديث عن "طالوت" قال تعالى{ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة 247) وأما المرة الثانية فقد جاءت الكلمة جمعاً في الحديث عن المنافقين والمطلب التربوي هنا يتمثل في تدريب وتعليم الإنسان أن يعتني بسلامة وصحة جسمه كي يستطيع أداء مهامه المنوطة به في حياته الاجتماعية وقبل ذلك في أداء العبادة لله تعالى بالمفهوم الشامل للعبادة .

2- **الروح**:لقد وردت كلمة الروح في مواضع كثيرة من كتاب الله ،ومن ثم اختلفت دلالتها من موضع لآخر ولا يتسع المجال لحصر كل الآيات والمواضع ،ولكننا سنسوق بعض الأمثلة ،قال تعالى

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ} { البقرة 87}وكذلك الآيات 253البقرة ،171النساء ،110المائدة .

العقـل: يلحظ المدقق في كتاب الله الكريم أن كلمة **العقـل** بصيغة الاسم لم ترد فيه مطلقاً وإنما وردت في وظائف العقل بكل مستوياتها وهي وظائف يؤيدها كل البشر ، فقد ورد الفعل "عقلوة " وتعقلون ،ونعقل وعقلها في 49موضعا ،كما وردت كلمة الألباب في 61موضعا ،واللب هو العقل المدرك الفاهم ..الخ من الألفاظ الدالة على العقل ،والعقل كما يُعلم أنه مناط التكليف في الإسلام ،وبه تميز الإنسان عن الحيوان ،فإن عطل الإنسان عقلة ولم يستخدمه للوصول إلى العلم وإلى الإيمان فهو كالحيوان أو أضل سبيلا:{ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً{29}}(الفرقان 29).

القلب :إن كلمة القلب جاءت في القرآن الكريم في 132موضعاً حيث جاءت مفردة وجمعاً ،وهذا يبين ما للقلب من أهمية كمكون رئيس من مكونات طبيعة الإنسان وحقيقته ،ومن أمثلة الآيات التي جاءت في كلمة القلب قول الله تعالى {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ{32}} (الحج 32)) فالقلب هو مستقر الإيمان كما أن القلب يأتي معنى أدوات المعرفة التي عن طريقها يستطيع المرء أن يصل إلى العلم والمعرفة .

وهذه المكونات الأساسية من منظار الإسلام كل متكامل لا مجال للثنائية أو التمييز بين مكون على حساب غيرة من المكونات ، وذلك أن التربية الإسلامية تتجه على تزكية النفس أي تطهيرها وتربيتها .(علي وآخرون، 2004م ،ص93-95)

ويضيف النغيمشي إلى مكونات الطبيعة الإنسانية ما يلي :

1- إن في تكوين شخصية الإنسان جانباً إراديا يتصرف الإنسان بشأنه, وبه يظهر جمال أو قبح الشخصية وهو محل الاختبار والامتحان في الحياة .
2- إن لهذا الجانب الإرادي أسسا تكوينية فطرية أصليه هي على التوالي الجسد والروح والتعبد والتخلق ,ولا يقوم عليها بناء سليم , إلا أن يكون متناسقا مع طابعها وخصائصها.
3- إن التوحيد الذي أرسل الله به رسله والشريعة السمحة يمثلان النظام الذي يساعد الإنسان في اختيار معتقداته وأفكاره وأعماله ومسالكه التي تتناسب مع مكوناته الفطرية (النغيمشي ,1415هـ، ص321).

الطبيعة الإنسانية بين الوراثة والبيئة :

أثبت العلم حديثا أن الأطفال يرثون الصفات الثابتة فيهم من أبويهم كما يرثون الصفات الشكلية فيهم، وأن الأطفال يحملون خصائص أصولهم وإن بعدت المسافة الزمنية بينهم وبين أصولهم

وأثبتت قوانين الله في الكون أن الفرع يشبه أصله في الكائنات كلها، إن انتقال خصائص الآباء والأجداد للأبناء الذين يمثلون الفروع هو الذي يعرف بعلم الوراثة وهو علم لا يوجد من ينكره، ولكن الخلاف بين العلماء في الشيء الذي يورثه الآباء ومقداره ونوعه.

فالبشرية كلها تشترك في الصفات التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات وتورث هذه الصفات جيلا بعد آخر، ولكن هناك صفات خاصة إلى جانب الصفات العامة تتميز بها أمة ما في مكان ما عن الأمم الأخرى وهي التي تميز بها الإفريقي عن الآسيوي والشرقي عن الغربي ثم يتدرج هذا التمايز في الصفات إلى مستوى الأبوين اللذين يورثان ألوانهما وأشكال قامتهما وطبائعهما لأبنائهما وتختلف نسبة الصفات المورثة من الأب والأم والمقدار الذي يرثه من كل منهما، وقد لا يرث الأبناء صفات آبائهم الأقرباء ولكن تظهر هذه الصفات في الأجيال التالية ولذلك نجد الطب الحديث يبحث في الأمراض عما إذا كان المرض موجودا في العائلة أو قد وجد في جيل سابق كما أن العلم يقول إن الأبناء يرثون الاستعداد للشيء كالاستعداد للنبوغ أو الغباء أو الإصابة بأمراض معينة أو الانحرافات الخلقية وما إلى ذلك وهنا يظهر دور البيئة في نمو تلك الاستعدادات.

والبيئة تطلق على ما يحيط بالإنسان من أناس وبحار وبلاد وأرض وأجواء، وكما أن النبات لا يعيش وينمو ويثمر إلا إذا وجد التربة الصالحة والماء والهواء والضوء فكذلك الإنسان في جانبه المادي يتأثر بالناحية الجغرافية في البيئة من بحار وأنهار وأجواء وطبيعة وجبال وهضاب وغيره ذلك كما يتأثر بذلك في جانبه العقلي أما بيئة الإنسان الخاصة فهي المنزل والمسجد والمدرسة ودينه ومعتقداته ولغته وتراثه وما إلى ذلك.

ما أثر ذلك كله في التربية بعامة والتربية الإسلامية بخاصة؟.

إن الإنسان إذا نشأ في بيئة صالحة، وأسرة متدينة ومدرسة راقية ورفقة صالحة وأمة خيرة ونظام سياسي عادل وتربية ممتازة كان الشخص المثالي الذي تهدف التربية إلى إيجاده، أما إذا وجد في بيئة سيئة، أسرة منحلة ورفقة سيئة وأمة شريرة ونظام سياسي جائر وحاكم طاغ متجبر وأنظمة بشرية فاشلة وتربية لا تقوم على أساس فإن النتائج أفراد فاشلون وذلك مصداق لقول الله تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً} الأعراف 58.

وقد أثبت علماء الوراثة أن الصفات الجسمية والخلقية والعقلية والنفسية لدى الآباء تكون استعدادا لدى الأبناء بما في آبائهم والقرآن يحدثنا أن أبناء الزناة يحملون استعدادا وراثيا للزنا من آبائهم ولذلك عبر عنه القرآن بقوله: {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} الإسراء 32، كما أن الأمراض الناشئة عن الزنا مثل السيلان والزهري قد تنتقل كاستعدادات وراثية لدى الأطفال، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول محذرا المهاجرين من خمس خصال ذكر منها "ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية إلا فشا فيهم الطاعون الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم" (رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي.)، وقد أثبتت

الدراسات لحالات المجرمين في جرائم مختلفة علاقة بين المجرم ومن مارس في قرابته نفس الجريمة التي ارتكبها فلذلك يرى بعض العلماء أن الزواج بين أبناء السكيرين أو المصابين بالأمراض جريمة لأن الأبناء يرثون الاستعداد لذلك، وقد سبق أن ذكرنا استنكار بني إسرائيل للسيدة مريم ذات السلالة الطاهرة النقية كيف أنجبت سيدنا عيسى من الزنا بدعواهم {يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً} مريم 28.، وبعض العلماء يرى أن الإجرام ليس وراثيا إنما هو أثر من آثار البيئة على الإنسان فإذا أخذ الأولاد من الآباء السيئين ونشأوا في بيئة طيبة نشأوا عكس آبائهم.

إن أهمية البيئة والوراثة كوسائل تربوية وإن دراستهما ومعرفة حدودهما ومدى تأثيرهما في الإنسان يجعل التربية مبنية على أسس علمية باعتبار كل منهما عاملا مكونا للعقل والجسم والخلق مع الآخر بدرجة تجعل من الصعب إعطاء دور كل منهما كما يفعل البعض نسبة معينة ثابتة فإذا لم توجد البيئة الصالحة للعبقري فإن عبقريته تموت وتندثر، كما أن البيئة الراقية لا تلد العباقرة والفلاسفة وإنما يوجد العبقري في البيئة الصالحة يكون انتفاع الأمة بأبنائها والأبناء بإمكاناتهم ومواهبهم. (محجوب، 1400هـ، ص 104-120)

وفيما يتعلق بنمو الشخصية يكاد يكون من الصعب فصل اثر الوراثة عن البيئة إلا من الناحية النظرية , فعوامل البيئة والوراثة تتفاعل وتتعاون في تحديد صفات الفرد, وفي تباين نموه ومستوى نضجه وأنماط سلوكه ومدى توافقه وشذوذه ,والى جانب الخصائص الوراثية والصفات البيئة توجد سمات تتأثر بالوراثة والبيئة معاً هي في معظمها استعدادات وراثية تعتمد على البيئة في نضجها وتتأثر بها مثل الذكاء والتحصيل , ويأمل علماء الوراثة تحسين النوع البشري بالاختيار الزواجي الأفضل, وفي نفس الوقت تحسين النوع البشري عن طريق تحسين البيئة الاجتماعية والثقافية والحضارية ,حتى يمكن تنمية الاستعداد لوراثة للأطفال إلى أقصى حد ممكن , ولايمكن للوراثة أن تصل إلى مداها الصحيح إلا في البيئة المناسبة لها. (زهران ,1995م،ص45-47) .

علاقة الطبيعة الإنسانية بالعملية التربوية من منظور إسلامي :

تحدث يالجن عن العلاقة بين التربية والطبيعة البشرية حيث يذكر أن الإنسان هو موضوع التربية ، والتربية هي صناعة الإنسان ، ولذا فموقف المربي من طبيعة الإنسان كموقف الصانع من طبيعة المعدن الذي يريد أن يصنع منه ما يريد ، فإن الصانع بقدر ما يعرف طبيعة المعدن وصفاته وخصائصه ، وبقد ما يكون ماهراً في الصناعة يكون ناجحاً في صناعته وتشكيل المعدن كما يريده ، وكذا الأمر بالنسبة للمربي ، فبقدر ما يكون ماهراً في صناعة الإنسان وبقدر ما يعرف طبيعة هذا الإنسان ، ومدى قابليته للتشكل الذي يريده ، ومدى استعداداته لتحقيق الوظائف والأهداف المنوطة به في هذا الحياة ومدى ما يلزم لتحقيق تلك الوظائف والأهداف ، ينجح المربي في تحقيق

مهمته التربوية ، وبقدر جهله بتلك الأمور يخفق فيها ، وفي التربية الإسلامية نجد أن المربي يستقي معلوماته وتصوراته عن الطبيعة الإنسانية عن طريق الوحي الذي جاء من خالق هذه الطبيعة ، أي خالق هذا الإنسان ، فمن الناحية المنطقية ينبغي أن تكون المعلومات الآتية عن خالق البشر هي المسلمات الأولية التي تبنى عليها الدراسات العلمية التالية ، وهذا هو الفرق الأساس بين علاقة التربية بالطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي وعلاقتهما مع بعضهما من منظور التربيات والفلسفات الغربية . (ياجن ، 1997م ، ص 7 ، 16) .

في حين **تذكر حجازي** علاقة الطبيعة الإنسانية بالعملية التربوية ، بقولها : وغاية القول أن منهج التربية في الإسلام في تناوله للإنسان هو منهج متناه في الدقة والشمول بحيث لا يترك جزئية من جزئياته دون أن يلقي عليها الضوء ، لذا كان الإنسان في هذا المنهج التربوي الإسلامي تصور مختلف عن باقي التصورات ، ومنهج التربية الإسلامية وحده دون مناهج الأرض يحقق مفهوم الإنسانية ، فتحقيق إنسانية الإنسان تتماشى مع منهج التربية الإسلامية وعالميته التي تقررت في كتاب الله ، كما أن منهج التربية الإسلامية هو منهج تربية الإنسان الصالح الذي يستطيع أن يعيش في زمان وكل مكان ، وهذا المفهوم الصحيح جعل هدف التربية الإسلامية تنمية الإنسان ككل من جميع الجوانب والعناصر والأجزاء المكونة له والمضمن إياها ، وقد استند هذا المفهوم الصحيح للطبيعة الإنسانية إلى تعاليم الإسلام (حجازي ، 1997م ، ص128 ـ 130) .

ولا غرابة أن تهتم التربية الإسلامية بالطبيعة الإنسانية ، فالتربية الإسلامية هي نتاج المنهج الإسلامي الذي انفرد بشمولية نظرته للطبيعة الإنسانية عن غيره من المناهج ، هذه الشمولية التي تنظر إلى الإنسان بأنه وحدة متكاملة ، ولا تجزئه إلى وحدات ظاهرة وأخرى باطنه بل تأخذ الإنسان كله بحركاته الظاهرة وخلجاته الباطنة لأن القاعدة الإيمانية التي ترتكز عليها التربية هي أن الإيمان ما وقر بالقلب وصدقه اللسان وعملت به الجوارح والأركان ، وهذه الرؤية المنفردة في تناسقها وتوازنها لكل جوانب النفس وكل جوانب الحياة غير مسبوقة من الناحية التاريخية فما تزال حتى الزمن الحالي تنفرد وحدها بعدة مميزات جعلتها تتصف بالعمق والاتزان (حجازي ، 1997م ، ص128).

مراجع الورقة

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد ، د.ت : لسان العرب . المجلد5، 8.
3. الحاج ، احمد علي الحاج محمد ، في فلسفة التربية نظرياً وتطبيقياً، دار المناهج للنشر والتوزيع 2002م .
4. حجازي ، اعتدال عبد الرحمن ، 1997م : "النظرية التربوية العلمية دراسة ناقدة من منظور التربية الإسلامية " . رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التربية الإسلامية ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
5. الخطيب ،محمد شحات ،وآخرون 1995م:،أصول التربية الإسلامية ،دار الخريجي الرياض .
6. خليل، محمد رشاد ،علم النفس الإسلامي العام والتربوي ،دراسة مقارنة ، 1407هـ،1987م:الكويت ،دار القلم ،
7. الرازي ، محمد بن أبي بكر ، 1995م : مختار الصحاح . مكتبة لبنان ، بيروت .
8. زهران,حامد عبد السلام ,1985م:علم نفس النمو,ط5,عالم الكتب, القاهرة.
9. علي ، سعيد إسماعيل ، 2005م : التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات . مكتبة الرشد ، الرياض ، ط2 .
10. الكندري، لطيفة حسين . بدر محمد ملك ،الأصول الفلسفية ، نقلا عن موقع http://www.geocities.com/ta3leqa1//asolelfalsafah.h
11. محجوب، عباس ، بيئات التربية الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،عمادة البحث العلمي - جميع الحقوق محفوظة 1423 هـ / 2002 م ،النسخة الالكترونية على موقع الجامعة ، العدد رقم 46، 1400هـ.
12. مدكور، على احمد، 1993م :منهج التربية ،أساسياته ومكوناته، القاهرة مصر .
13. مرسي ،محمد منير ،1998م: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، ط1،عالم الكتب ،القاهرة .
14. النغيمشي, عبد العزيز محمد, 1415هـ:علم النفس الدعوي,دار المسلم , الرياض.
15. يالجن مقداد ، 1991م : معالم بناء نظرية التربية الإسلامية . دار عالم الكتب ، الرياض ، ط2 .
16. يالجن مقداد ، 1997م : التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية . دار عالم الكتب ، الرياض ، ط1
17. http://www.tarbya.net/default.aspx

http://www.bab.com/bannerad/banner_ .18